﴿ وداع القرن ﴾

من تأمل كرور الادهار وتعاقب الليل والنهار ورأى الثواني تجرّ الايام والايام تجرّ الاعوام والناس يذهبون بين ذلك افواجاً ويمرّون فُرادَى وازواجاً ورأى ان هذه الحركة التي نرى بها الشمس تطلع من المشرق ثم نراها تغيب في المغرب يتخللها من حركات دقائق الكون ما يمثّل دبيب عوامل الفناء حتى يردّ كل منظورٍ الى عالم الهباء وقف حائراً دَهِشاً يتأمل في الكائنات وفي نفسهِ وقد اختلط عليهِ الوجود بالعدم حتى كاد يتّهم شواهد حِسّهِ ثم نظر فتمثل وراءَهُ ماضياً تغيب اوائلهُ في ظلمات الازل وامامهُ آتياً تتصل اواخرهُ بحواشي الابد وهو بينهما كنُفَّاخةٍ قذفها التيّار فوق اديم البحر فما كاد يقع عليها ضوء الشمس حتى عادت اليهِ فغاصت فيهِ آخر الدهر فملكهُ من الرَهَب ما ارتعشت لهُ اعضآؤهُ ومن الاشفاق ما جمدت لهُ دمآؤهُ ثم تمنى لو تخلَّص من هذا الوجود المشوَّه وايقن ان الكون ضربٌ من الزور المموَّه انما هي صُوَرٌ تتبدل واشكالٌ تتحوّل وهي المادّة الى ان تنحلّ الارض وينتثر نظام السيارات والاقمار وتتبدد ذرّات الشمس في الفضآء فيُمحَى رسمها من صحيفة الادهار

***

ودّعنا القرن التاسع عشر كما يودّع المرء يومهُ عند انقضآئهِ وقد تذكر ما لقي بين صباحهِ ومسآئهِ وما تقلَّب عليهِ من حالي كدره وصفآئه

ثم استشفَّ من خلال ليلهِ المقبل وميض صباح الغد باسماً عن ثغور الآمال مبشراً بما فاتهُ في يومهِ من الغبطة ونَعمة البال فبات يَعِد نفسهُ المواعيد ويرى كل بعيدٍ من الاوطار اقرب اليهِ من حبل الوريد وقد ذهل اكثرنا عن انهُ يودّع شطراً من دهرهِ وقد يكون من بعضنا اطيب شطري عمرهِ فاذا التفت الى خلفهِ رأى خيال نشأتهِ وشبابهِ وتمثلت لهُ اوقات لذتهِ ومجالس اترابهِ والصفحة التي ارتسم عليها تأريخ ميلادهِ ودُوّن فيها تذكار ابهج اعيادهِ فحنَّ الى ايامهِ السوابق حنين المحبّ المفارق وقد حِيل بينهُ وبينها وطُويت عليها صحيفة الفنآء وخُتم عليها بطابَع الابد فهي هناك الى يوم اللقآء

***

نحن اليوم بين فصلين من مصحف تأريخ الدهور وقد قرأنا الاول حرفاً حرفاً واستقرينا ما فيهِ من السطور والثاني مطويٌّ عنا نشتغل بهجاء الحرف الاول من عنوانهِ ولا ندري ما خطّ فيهِ قلم الغيب من غرائب حدثانهِ فندَع التكهن عليهِ لخرّاصي السياسة واصحاب الجفر والكواكب ونعود الى تصفح ما مرّ بنا من صُحُف القرن الذاهب وما سُطّر فيها من البدائع والغرائب فلا جرم انهُ كان من اعظم القرون آثاراً واجلّها شأناً واشرفها تذكاراً بل القرن الذي لم يمرّ بالارض مثلهُ من يوم تحركت على محورها فنشأ الليل والنهار ومنذ دارت حول الشمس فتتابعت السنون والاعصار فهو على الحقيقة بكر الزمن وان كان آخر ما مرّ بنا من اعقابهِ ومجدّد شباب الدهر بعد الهرم لا بل هو عين شبابهِ ففيهِ

اخذت الدنيا كمال زخارفها وبرزت الحضارة في ابهى مطارفها وانتشر العلم في الارض انتشار نور النهار فانبسطت اشعتهُ على كل قصيٍّ من الاقطار وتجلى بهِ كل مكنونٍ من الحقائق والآثار واصبح الانسان خدن الطبيعة وقد حسرت لهُ من نقابها والقت اليهِ مقاليد جوّها وترابها بل استسلمت اليهِ بجملتها حتى كان من اربابها فبرز في حدٍّ جديد غير ما عرّفهُ بهِ حكمآء الدهر السابق وادرك بسطةً من العرفان يضيق بها نطاق تعريفهِ بالحيوان الناطق فهو اليوم الحيوان المكتشف المخترع المتفنن المبتدع الطيَّار على مناكب الهوآء الماشي على صفحات المآء الذي زوى اطراف الارض فهي بين يديهِ قيدُ ميلٍ او شبر وطوى مسافاتها حتى كانما يسافر فيها على اجنحة الفكر وقبض على عنان البرق فجعلهُ رسول خواطرهِ يسيّرهُ في البلاد وساح بين الكواكب فادرك حركاتها وطبائعها وقاس ما بينها من الابعاد وخلق لنفسهِ حواسّ لم تكن مما عهد اسلافهُ من قبل فابصر من الخفايا ما لا تُذكَر في جنبهِ مدارج النمل وسمع من الاصوات ما لا يقاس بخفآئهِ صوت الحُكل (١) بل خرق الحُجُب ببصرهِ فتخلل ما بين دقائق الاجسام واستبطن الضلوع والاحشآء وسافر بين الجلود والعظام بل تسلل الى باطن الدماغ فاسترق السمع على ما يتناجى هناك من الخواطر والاوهام

---

(١) هو من الحيوان ما لا يسمع لهُ صوت كالذرّ والنمل • قال رؤبة بن العجاج

لو انني اوتيت علم الحكلِ علمَ سليمان كلامَ النملِ
كنتُ رهين هرمٍ او قتلِ

هذا هو انسان القرن التاسع عشر وما ذكرنا من صفتهِ الا مبلغ ما يتناولهُ الرمز ويسعهُ الايماء ولو شئنا الافاضة في ايسر تلك المعاني لكان غاية ما ننتهي اليهِ العجز والاعياء فما عسى ان نعدد من تلك العجائب الباهرات مما لو وُجِد اقلّهُ في الزمن الغابر لاعتُقد ضرباً من السحر او انتُحلت بهِ الكرامات والمعجزات وحسبك من يلقّن الجماد فينطق لا كما نطق الببغاء ومن يُسمعك كلام الغابرين فتعرفهُ بنغمتهِ وقائلهُ في قبضة الفناء ومن يريك الهواء ماءً سائلاً ثم يريكهُ جَمَداً معقوداً ومن يسخّر السحاب فيمطر في معمعان القيظ ماءً بَرُوداً ويصرفهُ متى شاء فيبدّد ما فيهِ من الصواعق تبديداً الى غير ذلك مما يطول الكلام في استقصائهِ ويضيق هذا المقام عن احصائهِ

***

وهنا قد يعرض للمتأمل ان ينظر اين كان موضع كل امةٍ من القرن التاسع عشر وما الذي اكتسب الشرقيّ فيهِ من المآثر وما خلّف فيهِ من الاثر فلا جرم ان اهل القرن الواحد وان شاع بينهم فتنازعوا ايامهُ على السواء وكانت عناصر الحياة مقتسَمَةً بينهم على غير أَثَرةٍ ولا استثناء فهيهات ان تستوي نسبة كلٍّ منهم اليهِ فيقفوا فيهِ مواقف الاكفاء وانما الذي يتساوون فيهِ شمسهُ وهواؤهُ وتربتهُ وماؤهُ وبقي وراء ذلك فضل المدارك والهمم والاعمال التي تتفاوت بها طبقات الامم وتتفاضل باعتبارها الاقدار والقِيَم فاذا كان القرن التاسع عشر هو الذي نشأت فيهِ تلك العظائم واقام للحضارة هذا البناء الرفيع الدعائم فهو من

القرون التي ليس للشرق فيها ذكرٌ يُؤثَر ولا اثرٌ يُذكَر ولا خرج الشرقيّ منهُ الا بما احتقب من ظلمات العصور الغوابر وازداد عليهِ ما لحقهُ في هذا العصر من الذلّ والمفاقر فلا اختطّ لنفسهِ سبيلاً يبلغ بهِ الى مواطن الفلاح ولا اقام لهُ عزًّا يعصمهُ من تطاول الطامع والمجتاح فضلاً عن ان ينشئ لنفسهِ فخراً يدوَّن في صحيفة الاحقاب او اثراً يرفع من بصر الدراريّ والاعقاب ولكن عصر الشرقيّ ان نشط للجري في سبيل الامم الراقية والحصول على المجد الصاعد والمفاخر الباقية هو هذا القرن الذي ابتدأناهُ عن أَمَم اذا جعل رائدهُ الى ذلك صادق الهمم ولم يتكل في بلوغهِ على الاقدار و القِسَم والله المسؤول ان يهدي خطواتنا الى اقوم سبيل بفضلهِ تعالى وتسديدهِ انهُ بالنجاح كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

فضائل القرن التاسع عشر

بقلم حضرة الكاتب خليل افندي الجاويش

اذا اردنا ان نعرف كنه القرن التاسع عشر وندرك قيمتهُ حق الادراك وجب علينا ان نعقد مقارنةً بينهُ وبين تاريخ الانسان منذ نشوئهِ الى الآن لانهُ زبدة العصور الخوالي ومجموع ما اتى بهِ الاواخر والاوالي . غير ان الانسان مهما كان واسع الاطلاع قويّ الحافظة مجيداً في الوصف فانهُ يحار ويتيه في تعديد ما خلفهُ القرن العابر من آثارٍ حسان وبدائع تجلّ عن البيان وغرائب صيرتهُ « بمنزلة الربيع من الزمان » ولذلك رأيت ان اجتزئ

بايراد ما تركهُ من جلائل الشؤون وعظائم الامور وكفى بهِ شاهداً بمزيتهِ على كل ما سبقهُ من العصور

واول ما ابدأ بالكلام على البخار لانهُ بكر مواليد هذا القرن الذي ذلل بهِ متون البحار حتى لقبهُ كثيرون عصر الملاحة . وقد بلغ البخار معظم شهرة واتقان آلاته بين السنة الخامسة والعشرين والسنة الخامسة والسبعين من هذا القرن . ثم تلتهُ الكهربائية ولكنها لم تزل حتى الآن مقصرة عن شق غبارهِ وادراك آثارهِ . وقد صدق من قال ان البخار عنوان هذا القرن ورأس اختراعاتهِ اذ لولاهُ لما قصرت أبعاد وتدانت مسافاتٌ طوال وتصاقبت ديار كانت شقة الاسفار بينها

مهالك لم تصحب بها الذئبَ نفسهُ   ولا حملت فيها الغرابَ قوادمهْ

ولولاهُ لما امكن جعل مدة السفر في المحيط الاتلنتيكي اقل من ستة ايام بعد ان كانت ستة وثلاثين يوماً . ولولاهُ لما تسنى لارباب السياسة والرئاسة ان يقلبوا وجه الارض ويبدلوا خرائط الجغرافية ويضرب كلٌّ منهم لوناً على خريطة اشارةً الى ارضٍ ملكها وبلادٍ دوَّخها . ولولاهُ لما استطاعت دول اوربا ان تخمد ثورة الصين الحاضرة في بضعة اشهر ولتعذر على انكلترا ان تجرّ هذا الجيش العرمرم الى جنوبي افريقيا وما يتبعهُ من الذخائر . بل هو لو كان موجوداً في زمن الاسطول الاسباني الشهير الملقب بالأرمادة لما فُلَّ لهُ شملٌ وتبدد قِدداً في عُرض المحيط بقوة الرياح التي كانت تسوق اشرعتهُ الى حيث شآءت لان الرياح تجري بما لا تشتهي السفن . فقدْ ابطل البخار قول المتنبي واطلق الانسان من اسر الريح وقيد المدّ والجزر

وان لم يطلقهُ من إسار العواصف والانوآء . وقد اصبح بقوَّة البخار يركب الدُرّاجة البخارية فيسبق الفرس السريع ويستقل القطار فيسابق الرياح ويقطع ميلاً في الدقيقة ويركب السفينة فيسبق الطائر والمآء يرغي ويزبد والجوّ يبرق ويرعد . وبهِ اصبح العالمون جيراناً وصير الدنيا كلها اشبه بمدينةٍ مشاعة فاصبح الناس يتراسلون ويتعاملون على اسهل اسلوب فهو اذاً روح الارض وعماد العمران والحضارة ومشيد دعائم الدول والممالك ودخانهُ اذا انعقد في سمآء بلادٍ انزل عليها مطر الخيرات والنعم وكان اعظم بركةً عليها من الغيوم والدِيَم

ومن اشهر ما يذكر في هذا القرن بعد البخار فن الحديد اي صناعة الآلات دقيقها وجليلها على مقتضى علم الحيَليات اي الميكانيك وقد اخترع من هذه الآلات ما يفوق الحصر من آلة الساعة التي لا تكاد ترى حتى اصبحت الساعة تشابه حبة العدس الى دولابٍ يهولك منظرهُ ضخامةً وعِظَماً الى مدفعٍ يخرب مدينةً في يومٍ واحد الى برجٍ كبرج ايفل يهزّ رأسهُ ساخراً من برج بابل الى ما شاكل ذلك من الآلات المتنوعة المخصصة لكل صناعة المسهلة لكل عمل المعطلة يدٌ منها لأيدي مئاتٍ من العمال المرصدة لكل فرعٍ من فروع الاعمال حتى الذي لا يؤبَه لهُ ولا يُعتدّ بهِ فضلاً عن تحسين كل آلةٍ واداةٍ جآء بها اهل القرون الخالية وزيادة فائدتها ورونقها . ويدخل في باب الصناعة اختراع التلغراف والتلفون والحاكي (الفونغراف) والسينماتغراف (الصور المتحركة) والفوتغراف والتلغراف بانواعهِ والمناظير الكبيرة كمنظار معرض باريز الاخير والتصوير

على الزجاج والنحاس واختراع الديناميت والميلينيت وسائر المواد المنفجرة وغاز الاستصباح والنور الكهربآئي والاسيتيلين واشعة رنتجن التي تريك شرايين الانسان تنبض ومعدتهُ تهضم وقلبهُ يخفق فضلاً عن التقدم الذي حصل في فن الطباعة والوراقة والصحافة والموسيقى . واعجب منهُ تقدم العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والاجتماعية ففي الكيميآء مثلاً اكتشف العلامة پستور مبدأ الاختمار وعالم المكروبات فقلب نظام الطب والجراحة تماماً وادّى اكتشافهُ هذا الى استنباط لقاح السل ولا يزال ناقصاً ولقاح الدفثيريا وقد وضح نفعهُ ولقاح الطاعون وسم الافاعي وهما تحت التجربة وفتح باباً واسعاً لاستئصال كل فسادٍ ينشأ عن الجراثيم المرضية . وفي العلوم الطبيعية نبغ داروين فوضع مذهب التحول العضوي وتنازع البقآء وهو مشهور ونجم عن هذا المذهب معرفة كنه الخلايا في كل حي وناموس الرجعة في علم الأجنة وقيام الدليل الواضح على قِدَم الانسان وعصر الجمد وتأثيرهِ في سطح الارض . وفي الطب اكتشفوا طبيعة الكريات البيضآء في الدم ووظيفتها . والجراحة لا تُحصى ضروب تقدمها وكفى انهم قد يستخرجون المعدة ويعيضون عنها بالقناة الهضمية . وفي علم الفلك اكتشف العلامة لفرّياي السيار نبتون احد سيارات النظام الشمسي (سنة ٤٦) وعرفوا طبيعة النيازك والنجوم المذنبة . وفي علم الطبيعة توصلوا الى قياس سرعة النور وادركوا ماهية دقائق الغازات ووُفّقوا الى تجميد الهوآء ونحوهِ من العناصر . وفي الفلسفة نبغ كونت الفرنسوي صاحب الفلسفة الوضعية وهكل الالماني وهو صاحب طريقة اخرى ونبغ في الكتابة والشعر اناسٌ

كثيرون من كل امةٍ يطول تعدادهم منهم ڤكتور هوغو والسير ولتر سكوت واللرد بايرُن وبوشكن اعظم شعرآء الروس . وفي العلوم الطبيعية داروين وتندل وهكسلي وهمبلُت وفاراداي وغير هؤلآء ولو شئنا ان نعدد سائر من اتى بهم هذا القرن من الفحول والنوابغ في كل فن لطال السرد كثيراً كما اننا لو اردنا ان نستوفي الكلام على كل اختراع واكتشاف وابداع ظهر فيهِ لوجب ان نفرد لكل علم وصناعة وفن بحثاً طويلاً مبوباً مما يقتضي مجلداً ضخماً

اما في عالم السياسة فقد نبغ ناپوليون بوناپرت الاول اعظم فاتح ظهر في المعمورة وبسمرك داهية المانيا وتيرس وغمبتا ودزرائيلي وغلادستون وغورتشاكوف ودي جيرس واندراسي وكافور وغاريبلدي وغيرهم . واهم ما حدث في الدنيا خلال القرن الغابر سقوط ناپوليون ونفيهُ الى جزيرة القديسة هيلانة وموتهُ فيها واستقلال اليونان وحرب القريم وثورة الهند على الانكليز وحرب السبعين وحرب روسيا والدولة العلية وحرب اميركا واسبانيا مما افضى الى سقوط هذه الدولة وحرب الترنسڤال ولا تزال مشبوبة النار حتى الساعة واتساع املاك انكلترا وانتشار هيبتها حتى صارت مساحة ما تحكمهُ نحو ١٢ مليون ميل مربع وعدد رعايا الدولة ٤٠٠ مليون نسمة منهم ٦٠ مليوناً يتكلمون بالانكليزية ويحكمون انفسهم بانفسهم اي في انكلترا وارلندا وكندا واستراليا وزيلندا الجديدة . وكذلك اتساع اميركا اي الولايات المتحدة وازدياد سكانها حتى بلغوا نحو ٧٧ مليوناً بعد ان كانوا نحو خمسة ملايين ونصف في سنة ١٨٠١ وكانت روسيا تحوي ٣٨ مليوناً في اوائل القرن فاصبح عدد سكانها الآن ١٢٠ مليوناً وهي كل يوم في فتوحٍ وتبسُّط .

ومما اذهل الدنيا تقدم اليابان في اواخر العصر الفائت ولحاقها باوربا في كل شيء يقابلهُ تأخر جارتها الصين مع ان سكان البلادين من اصلٍ واحد

وآخر ما يليق ذكرهُ في هذا الباب تهافت اوربا على اقتسام افريقيا بحيث لا تمضي بضع سنوات حتى لا يعود فيها شبر ارض غير داخل في ولاية دولةٍ منها وكل هذه شؤون سياسية معروفة ولكن المقام اقتضى الالماع اليها تكملةً للبحث . وفي الختام اقول ان القرن التاسع عشر بلغ المدى وتجاوز الحدّ في الامور المادية ولكنهُ اسفر عن تقصير عظيم في الامور الادبية والشؤون الكمالية التي تجعل الانسان انساناً صحيحاً فتحول فكرهُ الى معاني السعادة الحقة وتقلل مطامعهُ في زخرف الدنيا وزينتها ولكن بعضهم يؤمل ان يكون القرن العشرون هو الكفيل بابلاغنا تلك الغاية القصوى على ان اوائلهُ تنذر بعكس هذا الامل فعسى ان تنقلب الآية ويتغلب الهدى على الغواية وعسى ان لا يكون القرن الجديد كالسنديان يبدأ السوس باكلهِ من رأسهِ لا من جذعهِ ومن يعش يرَه

الموشح

لحضرة الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

هو اسمٌ لهذا النوع المعروف من الشعر وقد يسمَّى موشحة ذهاباً الى القصيدة فيقال موشحة ابن خلوف اي قصيدتهُ الموشحة وتوشحت المرأة في اللغة لبست الوشاح وهو قطعة من نسيج شبه القلادة تُرصَّع بالجواهر ومن هذا يتبين لك الشرف الذي ارادوا ان يَسِموا بهِ هذا النوع من الشعر

فكانهم شبهوا القصيدة من النمط المألوف بالمرأة العاطلة من الحلي فلما صارت الى هذا النوع الذي منهُ المخمَّس والمسبَّع والمسجَّع والمرصَّع بدت كالحسناء الموشحة بقلائد اللؤلؤ وعقود الجواهر وكفى بهذا الاسم وصفاً وتعريفاً

وغلب على الموشحات لقب الاندلسية نسبة الى محل استحداثها واختراعها قال ابن خلدون واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيهِ وفنونهُ وبلغ التنميق فيهِ الغاية استحدث المتأخرون منهم فنّاً سمّوهُ بالموشح ينظمونهُ اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً الى ان قال وكان المخترع لها (الموشحات) بجزيرة الاندلس مقدّم بن معافر الفريري من شعرآء الامير عبد الله بن محمد المرواني . وقال ابن بسّام في الذخيرة عند ذكر عبادة بن عبد الله بن مآء السمآء كان في ذلك العصر شيخَ الصناعة واحكم الجماعة سلك الى الشعر مسلكاً سهلاً فقالت غرائبهُ مرحباً واهلاً وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود فاقام عبادة هذا عمادَها وقوّم ميلها وسنادَها فكانها لم تُسمَع بالاندلس الامنهُ ولا أخذت الاعنهُ . وقال ابن دحية عند ذكرهِ الوزير ابن زُهر والذي انفرد بهِ شيخنا وانقاد لطباعهِ وصارت النبهآء من خوَلهِ واتباعهِ الموشحات وهي زبدة الشعر ونسبتهُ وخلاصة جوهرهِ وصفوتهُ وهي من الفنون التي اغرب بها اهل الغرب على اهل المَشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيآء المُشرق

وكفى بشهادة هؤلآء الائمة الاعلام حجةً للقول بافضلية الموشحات على سائر الشعر فقد كان يضيق على الناطقين بهِ من بلغآء الجاهلية فيعمدون

الى الاراجيز للتعبير عما يقصدون وانت تعلم ان مقاصدهم واقوالهم لم تكن تتعدى المحسوسات لعهدهم فضلاً عن السذاجة البدوية التي كانت تبيح لهم مخاطبة الصعلوك اميرهُ بلهجةٍ لا فرق بينها وبين مخاطبة سائر الناس . واين تلك من حالنا اليوم وما يقع تحت ابصارنا من غرائب المصنوعات وعجائب الآلات والقصور المزخرفة والاواني المستطرَفة الى غير ذلك مما لم يخطر ببال النابغة ولا حلم بمثلهِ امرؤ القيس فضلاً عما يبتكرهُ شاعر العصر من التخيلات التي تولدها في خاطرهِ هذه المرئيات وغيرها من سائر المحسوسات وفضلاً عما توحيهِ اليهِ علوم هذا العصر وفي كل يوم لنا منهُ عجيبةٌ بل عجائب . وهذا كلهُ عدا ما تقتضيهِ آداب هذا الاوان ورقة اهليهِ والتأدب في مخاطبة اصحاب المراتب العالية والمنازل السامية والتفنن في محادثة الغانيات بلطافةٍ ما جالت بخاطر بن الاحنف وكياسةٍ وظرفٍ لم يمرّا ببال ابن زيدون والبهآء زهير الى غير ذلك من سرد شؤونٍ لم يكن يقع مثلها في عصرهم وذكر مسمياتٍ جديدة تفوق الحصر ولا غنى للشاعر عن ذكر بعضٍ منها والتلميح اليهِ في عرض الشعر لايضاح مرادهِ وتصوير الحقيقة للسامع اذ من المعلوم عند جهابذة العلمآء واهل النقد منهم ان الشاعر المجيد مصوّر يصوّر الحقائق بالطف المعاني وادقّ الاشارات وافصح الالفاظ وارق الاستعارات ويكسوها من حسن اسلوبهِ وبيانهِ بل من جوهر نفسهِ وعواطف جنانهِ ما تكاد تشربهُ لسلاستهِ النفوس ويقول سامعهُ لا عطر بعد عروس بل يكاد يتوهم انهُ يرى المحدَّث عنهُ باوضح مجالي الحسن والجمال وابدع غايات البهآء والكمال

ولما رأى شعرآء الاندلس ان هذه الابحر المعروفة من الشعر وطريقته القديمة لا تفي بوصف حاجات حضارتهم بما فيها من التقييد بالقافية الواحدة وهو ضربٌ من تقييد الذهن واللسان بل ضربةٌ تقضي على الشاعر في اكثر الاحوال ان يعدل عن الفصاحة الى ان يضعف المعنى الذي هو روح الكلام — وقد تقضي عليهِ ان يتغاضى عنهُ بتةً — اطلقوا لقرائحهم العنان وحلّوا ألسنتهم من عقال القصائد الطويلة ذات القافية الواحدة وسلكوا هذا المسلك الانيق وتعشقوا هذا الفن الرشيق فكان ذلك خطوةً كبيرة في طريق الشعر العربي وترقّيهِ . الا انهم لم ينظموا منهُ الا الزهريات والخمريات والغزليات ومدح بهِ بعضهم ونظم بعض المتصوفة موشحاتٍ كانت غايةً في الخشوع كما فعل محيي الدين بن العربي وغيرهُ . ثم وقف الموشح عند هذا الحد وتراجع امر الحضارة في الاندلس الى ان طمست تلك المعالم الزاهرة وامَّحت تلك العلوم والفنون الباهرة فلم يفكّر احدٌ بعد ذلك في استخراج تلك الكنوز واحتذآء هاتيك الرموز والنسج على منوال هذه الباقيات الصالحات والتفاخر بهذه الموشحات على شعرآء سائر اللغات الا ما وُجد منها في طيّ الدفاتر مخزوناً او في بعض المكاتب مدفوناً فكانهُ قُضي على الشرقيين ان لا ينفكوا عن التمسك بالقديم ولو كان مرغوباً عنهُ ويرفضوا كل ما يرد عليهم من الجديد ولو كان خيراً منهُ

وليس قصدي الحطّ من قدر الشعر القديم او طريقتهِ فذلك مما لم يدُر في خلدي وقدرهُ فوق ذلك غير انهُ من حقّهِ ان يصبح كسائر العاديّات النفيسة فيُحتَفظ بهِ وينافَس فيهِ تخليداً لفضل قائليهِ وتأريخاً

لاحوالهم في تلك العصور واما نهج مناهجهم بعينهِ وتحدّي كناياتهم وتعبيراتهم فمما يمجهُ الذوق في هذا العصر واقرب منهُ تكايفلك احد الشعراء العصريين اللابس آخر زيٍ من لباس اهل باريس البالغ منتهى الرشاقة ان يتزيا بزيّ البحتري مثلاً فيضع على رأسهِ عمامة كأنها غمامة ويلبس سراويل تسع جثة فيل ويرتدي جبةً تدخل في احد اكمامها قبةً اذ ما الفائدة او اللذة من اتيان الشاعر المصري او الحلبي بذكر الاظعان والهوادج والتشبيب ببنت الحي وربعها والتغزل بخمارها وخلخالها والبكاء على رسم طلولها الدارسة والتشوق الى المياه والمناهل وتذكر الاحبة عند خفوق البرق الى ما اشبه ذلك من الامور التي ذهب زمانها وولى اوانها فاين اليوم اظعاننا والهوادج ومن هي بنت الحي التي يغار عليها اهلها من خيال في المنام واين القوم الذين يرحلون في طلب النجعة ويتركون ديارهم خالية وما نحن في البيد والفلوات ولا رسوم عندنا دارسات ومن منا الشاعر الذي تعرفهُ الخيل ويرهبهُ الليل ويحمل الرماح السمهرية ويتقلد السيوف الهندية أليس هذا كلام أمةٍ خلت. فان كان ثمة لفصاحتهِ وعذوبة الفاظهِ لذةٌ في المسامع فلا اسهل من التفكه بقرآءة اشعار عنترة والمتنبي وانت تتصوَّرهما بزيهما العربي على حصانيهما واولهما يقول

حصاني كان دلاّل المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا

وثانيهما يقاتل مع ابنهِ المحسد وعبدهِ وهو ينشد

الخيل والليل والبيدآء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

واما ان شئت ان تتغزَّل بما يناسب حالة هذا العصر فطرّس على آثار

الاندلسيين بموشحاتهم وقل كما قال اثير الدين الجياني الاندلسي

نصبَ العينين لي شرَكا فانثنى والقلبَ قد ملكا
قمرٌ اضحى لهُ فلكا قال لي يوماً وقد ضحكا
أَتجي من ارض اندلسٍ نحو مصرٍ تعشق القمرا

او كما قال ابن زمرك في الزهريات

فالوُرق هبت من السِناتِ لمنبر الدوح تخطبُ
تسجعُ مفتنّةَ اللغاتِ كلٌّ عن الشوق يعربُ
والغصن بعد الذهاب ياتي لأكؤُس الطلّ يشربُ
وادمع السحب في انسياحِ في كل روضٍ لها سبيلْ
والجوّ مستبشر النواحي يلعبُ بالصارم الصقيلْ

وان شئت وصف بستان او قصر او وصف مجلس أنس او غادة او غير ذلك من الاماكن والاحوال والشؤون وصفتها بما فيها وجئت بما يقرب من الحقيقة شأن المصوّر البارع الذي اذا شآء تصوير شجاع لم يعمد الى تصوير اسد واذا اراد تصوير غانية حسنآء لم يرَ ان يصوّر وجهها مدوّراً كقمر السمآء واذا رغب ان يرسم قصراً في منتهى الابداع لم يختر تصوير حجارتهِ من الذهب والفضة بل يصوّر لك انساناً كامل الخلقة تقول عند رؤيتهِ اين منهُ الليث وغانيةً في احسن تقويم تامّة التكوين تقول عندها تبارك الله احسن الخالقين وقصراً بدت احجارهُ تزري بالفضة لحسن تركيبها وتميقها وجمال حفرها ونقرها فتتمنى لو كان حقيقةً لا رسماً ۰ والفرق بين الشاعر والمصوّر أن الشاعر يصوّر بالالفاظ والمصوّر بالالوان ولهذا كان

لا بد للشاعر من التبديل في القوافي فتكرار اللون في صورةٍ واحدة كتكرار النغم الواحد يُملّ ولو كان من اشهر المغنين وأن ما يصوّرهُ الشاعر ينقلهُ الصوت الذي يروي شعرهُ الى مخيّلة السامع فيرى الصورة الوفٌ من الناس في مئاتٍ من البلاد وصورة المصوّر لا يبدو حسنها لغير الرآئي فشتّان بين المصوّر اللفظي والمصوّر اليدويّ

ولما كانت حقيقة الشعر كما وصفنا وكان وصف البيد والخيل والنوق والاظعان والرماح وغيرها من احوال البداوة قد سُبق اليهِ وتكرَّر من ألوفٍ من الشعرآء المُجيدين لم يتركوا في وصفها زيادةً لمستزيد وكان المطلوب وصف أحوالنا لهذا العهد وتصويرها بالصورة المتعارفة في عصرنا الحاضر كان مذهب الموشحات باكثر اوزانها أليق بحضارة هذا الاوان واقرب تناولاً للمعاني والى الانتقال من حالٍ الى حال ومن أسلوبٍ الى آخر او الى وصف شؤون تتعلق بمراد الشاعر وتفيد السامع تمام قصدهِ وادق وجداناتهِ اذ لأسماط الموشح وتغيير قوافيهِ والعود الى القافية او القافيتين اللتين يجعلهما الشاعر قفلاً لابواب موشحهِ من الفكاهة في السمع ومن السهولة في ايضاح المعاني اللائقة لها ما لا يوجد في القصيدة الطويلة ذات القافية الواحدة

وهنا استأذن حضرة الاستاذ الفاضل صاحب هذه المجلة ان اورد ما كتب اليَّ في هذا المعنى وقد كتبت اليهِ استنزل رأيهُ فيهِ فوردني من حضرتهِ الجواب وفيهِ فصل الخطاب ولذلك اختم بهِ هذه العجالة التي سطرتها امتثالاً لاشارتهِ قال اعزهُ الله

... ولقد اصبتم في ايثاركم هذا المذهب من النظم فانهُ كما ذكرتم اخف محملاً على الآذان واقرب تناولاً للمعاني وابعد عن ملل السامع بما يتبدل عليهِ من القوافي فهو من هذا القبيل اشبه بالشعر الافرنجي الذي طالما حامت حواليه شعرآء هذا العصر حتى ان بعضهم خالفوا في قوافي القصيدة الواحدة فما زادوا على ان كسوا نظمهم لباساً من الهجنة اذ كان لا يرجع الى ترتيب ولا يجري على شيءٍ من التناسب الذي هو قاعدة الجمال . ولذلك كان الموشح من هذا الوجه افضل من الشعر الافرنجي ايضاً لما بين اجزآئهِ من الارتباط الذي يضم الموشح كلهُ الى سلكٍ واحد ويردّ كل شاردٍ منهُ الى مقرٍ معروف وحبذا لو صدرتم موشحكم الآتي بمقالة في هذا المعنى فانها ولا شك سيكون لها عند القرآء وقعٌ جميل ... الى آخر ما تفضل بهِ مما لا احسب هذه المقالة في شيءٍ منهُ بيد اني استميح لها رضى افاضل القرآء فان حصلت عليهِ فهو حسبي . اه

وسننشر الموشح المشار اليهِ في الجزء الآتي ان شاء الله

الضوء في المرّيخ

لم يبرح المرّيخ من يوم اختُرعت المناظير المكبرة موضع حيرةٍ للعلمآء والراصدين بما يظهر فيهِ حيناً بعد آخر من الغرائب والاسرار منها في تبدُّل شكلهِ ومنها في اختلاف لون تربتهِ ومنها فيما يُرَى على سطحهِ من الخطوط الشبيهة بالجداول والترع تظهر احياناً وتخفى احياناً وتنفرد تارةً وتزدوج اخرى الى غير ذلك مما سننفرد لهُ مقالةٍ مخصوصة . وقد تناقلت الجرائد والمجلات في هذه الايام نبأ تلغرافٍ بعث بهِ المسيو پيكرين من كمبريج بتاريخ ٨ دسمبر الفائت يقول فيهِ ان المسيو دوغلاس اعلن من مرصد لويل انهُ عاين في الليلة السابقة لذلك التاريخ ضوءًا على سطح المرّيخ ظهر من حيال

الشاطئ الشمالي من بحر ايكاريوم[١] استمرّ مدة ٧٠ دقيقة • فكثرت التآويل في سبب ظهور هذا الضوء ولا سيما بعد ان شاع هذا النبأ بين العامة حتى زعم بعضهم انهُ اشارةٌ من اهل المرّيخ يخاطبون بها اهل الارض

على ان هذه ليست اول مرةٍ ظهر فيها هذا الضوء في السيار المذكور فقد رؤي مثل ذلك سنة ١٨٦٥ ثم سنة ١٨٨٨ و ١٨٩٠ و ١٨٩٢ و ١٨٩٤ وهو يُرَى دائماً بجانب كِفَّة السيار[٢] • وكان ما ظهر منهُ سنة ١٨٩٠ يشبه منظر جبال القمر وفوَّهاتهِ اذا وقعت منحرفةً عن ضوء الشمس وراقب المسيو پرّوتين قيّم مرصد نيس ماظهر منهُ سنة ١٨٩٢ في عدة ليالٍ فكان منظرهُ يختلف بين ليلةٍ واخرى وقد قدّر ارتفاعهُ عن مستوى سطح السيار بين ٣٠ و ٦٠ كيلومتراً وقدّرهُ المسيو پيكرين بنحو ٣٢ كيلومتراً وذكر بعضهم انهُ كان ممتدًّا على طرف محيط السيَّار على مسافة ٢٥ درجة وهي نحو ١٧٥٠ كيلومتراً

وقد تهوّس كثيرون سنة ١٨٩٤ بظهور هذا الضوء لما اشتهر اذ ذاك من انهُ خطابٌ لنا من اهل المرّيخ على نحو ما دار على ألسنة بعض الناس اليوم واخذت الجرائد والمجلات تخوض في اختيار الذريعة التي ينبغي ان

---

(١) يظهر على سطح المرّيخ بقعٌ قاتمة يظنون انها بحار وقد ميزوها باسماء مختلفة اكثرها من اسماء مشاهير العلماء منها بحر كبلر وبحر نيوتن وبحر ماركدي وبحر هوك وغير ذلك ومنها بحر البنكام اي الساعة الرملية لانهُ يشبهها في الشكل والى يمينهِ البحر المذكور اي بحر ايكاريوم وهو شعبةٌ مستطيلة تتصل بشاطئه ومكانها بين ٣٢٦ و٣٤٥ درجة من الطول وبين ١٠ و ١٦ درجة من العرض الجنوبي　(٢) حيث يلتقي الليل والنهار

يخاطَبوا بها من الارض فكان من رأي بعضهم ان تُغرَس غاباتٌ عظيمة في سهول البرازيل او في صحارى افريقيا تُجعَل على شكلٍ هندسي من الاشكال المشهورة عند اهل هذا الفن واختار لذلك رسم القضية السابعة والاربعين من الكتاب الاول من اقليدس[1] . وارتأى غيرهم ان تُرسَم اشكال مختلفة بالضوء الكهربائي كأن يُرسَم اولاً شكلُ مثلث ثم يحوَّل الى شكل مربع او دائرة . واشار آخرون ان يجعل مكان الضوء الكهربائي الواحٌ من الزجاج تُبسَط على الشكل المراد بحيث تنعكس عنها اشعة الشمس عند الغروب كما نراهُ في مثل ذلك الوقت من زجاج بعض البيوت الى غير ذلك من الآراء الغريبة

والذي عليهِ المحققون من اهل البحث ان هذه الاضواء لا تدلّ على شيء مقصود وانما هي انعكاساتٌ طبيعية لأشعة الشمس عن بعض الاشباح الشاخصة فوق مستوَى سطح السيار وفي رأي المسيو پيكرين انها منعكسة عن بعض السحب المتراكمة في جوّ المرّيخ او فوق بعض جبالهِ بحيث يظهر ضوء الشمس عليها عند مغيبها او قبل طلوعها وما تحتها مظلم . ومع انهُ قدَّر ارتفاع هذا الضوء بنحو ٣٢ كيلومتراً فهو لا يستبعد ان تكون الغيوم هناك على مثل هذا الارتفاع بل هو ضروريٌّ عندهُ بالقياس الى صغر جرم السيار وقلة مادتهِ . وذهب المسيو كمبل الى انها منعكسة عن قمم الجبال انفسها وذلك انهُ قدَّر ان هناك سلسلة جبالٍ شاهقة قائمة على اوديةٍ عميقة فاذا انتهت هذه الجبال الى كُفَّة السيار بقيت اشعة الشمس واقعةً

(١) هي ان كل مثلث ذي قائمة يعدل مربع وتره مربعي الساقين

عليها وانقطعت عن الاودية التي بجانبها فظهرت منفصلةً عن بقية سطح السيار على حدّ ما يُرى من مثل ذلك في القمر . وكلا القولين غير بعيد عن الاحتمال لكن على كل حال لا يكون ذلك من فعل سكان المرّيخ ولا سيما مع ما ذُكر من الاقيسة التي ظهر عليها هذا الضوء مساحةً وارتفاعاً مما تقصر عن بلوغهِ الذرائع الصناعية

فوائد

ازالة الثآليل — وصف بعضهم لذلك ان يُنقَع قشرتان من قشر الليمون الحامض في ١٢٥ غراماً من الخل المركَّز مدة ثمانية ايام ثم تُطلَى الثآليل بهذا الخل بواسطة ريشةٍ ونحوها مساءً وصباحاً فاذا كُرِّر ذلك على بضعة ايام امكن نزع الثآليل بدون صعوبة ولا الم

الملح وادرار اللبن — اختبر بعض كبرآء ارباب المواشي في الجمهورية الفضية فعل الملح في ادرار اللبن فعمد الى ثلاث بقرات وحسب ما تُدِرّهُ من اللبن في ثلاثة ايام فكان ٤٥٤ ليبرة ثم اعطاها الملح واختبر ما تدرّهُ في ثلاثة ايامٍ أُخر فكان ٥٦٤ ليبرة اي بزيادة ١١٠ ليبرات وهي نحو الخُمس

اسئلة واجوبتها

بيروت — انا من تلامذة كليـة القديس يوسف للآبآء اليسوعيين ونحن اليوم ندرس الصرف في الكتاب المسمى بالقواعد الجلية في علم العربية

تأليف الاب ... اليسوعي وقد جآء امامنا في صفحة ٣٩ الكلام الآتي

« الماضي المجهول من الاجوف الواوي ثلاثياً كان او رباعياً يُعلّ بالنقل والقلب نحو قِيلَ وخِيفَ اصلهما قُوِلَ وخُوِفَ أُلقيت كسرة الواو الى ما قبلها فصارا قِوُلَ وخِوُفَ وحُذفت ضمة الواو لثقلها فصارا قِوْلَ وخِوْفَ ثم قُلبت الواو يآءً فصارا قِيلَ وخِيفَ » انتهى بحروفهِ

وقد اشكل عليَّ قولهُ « فصارا قِوُلَ وخِوُفَ » اي بكسر اولهما وضمّ الواو مع ان الواو كانت مكسورةً ثم « أُلقيت كسرتها الى ما قبلها » فمن اين جآءتها الضمة . وقد سألت استاذي عن ذلك فقال « لما ألقينا حركة الواو الى ما قبلها وهو لا يحتمل حركتين معاً الضمة والكسرة ألقينا ضمتهُ الى الواو على سبيل المبادلة ثم استُثقلت الضمة على الواو فحذفناها » . وقد اعجبني هذا التعليل كثيراً لاني وجدتهُ كما يقول الافرنج « هندسياً » ... لكن وجدت العمل فيهِ طويلاً جدًّا لاننا ألقينا حركة الواو اولاً الى ما قبلها فسكنت ثم ألقينا اليها حركة ما قبلها فضُمَّت ثم استثقلنا الضمة عليها فحُذفت افليس لهذا العمل طريقٌ اخصر (* — *)

الجواب — الطريق في ذلك ان تقول نُقلت كسرة الواو الى ما قبلها بعد سلب حركتهِ فسكنت ثم قُلبت يآءً لسكونها بعد كسرة وهو الوجه البديهي في هذه المسئلة والذي تجدونهُ في كتب الصرفيين . على ان ما ذُكر هنا من النقل والقلب لا يختصّ من المزيدات بالرباعي كما جآء في العبارة التي نقلتموها ولا يكون في كل رباعي ولكنهُ يتناول الخماسيّ ايضاً نحو انقِيد والسداسيّ نحو استُقِيم ويختصّ من الرباعي بصيغة أفعل كأُقيم

لان صيغتي فاعَل وفعّل المشدد العين لا اعلال فيهما

القاهرة — يقال ان الديك يبيض بيضةً واحدة في عمره فهل لذلك من صحة وان صح فما تعليلهُ
حنا الياس العريان

الجواب — هذا من الاقوال المتداولة بين العامّة والظاهر انهُ من المزاعم القديمة كما يُستدَلّ عليهِ من قول ابي العتاهية في البيت المشهور

قد زرتِنا مرةً في الدهر واحدةً ثنّي ولا تجعليهـا بيضة الديكِ

وذلك انهُ قد يوجد في مأوى الدجاج بيضة صغيرة بحجم بيضة الحمام اذا كُسِرت وُجد فيها البياض وحدهُ من غير صفرة ولذلك لا ينقف عنها فرخ ولعل هذا هو السبب فيما اشتهر من كونها بيضة ديك والناس يأبون اكلها لانها غير طبيعية وقيل لانهم يزعمون انها تُنقف عن حية . وهذا الاعتقاد غير مخصوص بالشرق ولكنهُ شائعٌ في اوربا ايضاً حتى انهُ من مدةٍ بعث بعضهم الى احد رجال العلم ببيضةٍ من هذا النوع يسألهُ ان يفحصها ويقول ان جاريتهُ اخذتها من تحت ديكٍ رأتهُ يبيضها . . .

ولا يخفى ان كون هذه البيضة بيضة ديك مما يستحيل عقلاً وطبعاً ولكن الذي عليهِ اكثر علماء الحيوان انها بيضة دجاجةٍ قد هَرِمت وأصفت وبقي في جوفها هذه البيضة فألقتها ناقصة فهي نوعٌ من السِقط . وعلل آخرون بان اوّل ما يوجد عادةً من البيضة هو الاصفر ينفصل من مكانهِ ويسقط في القناة البيضية فيتجمع عليهِ البياض ويغلفهُ فقد يتفق ان الاصفر عند سقوطهِ يقع منحرفاً عن مجرى القناة فيتجمع البياض وحدهُ ثم

تنشأ عليهِ القشرة فتخرج البيضة صغيرةً خالية من الصفرة · واي القولين كان اصح فهي ولا شك بيضة انثى ولا يصح ان تكون بيضة ديك حتى يصحّ وجود الابلق العَقوق

القاهرة — من الناس من يكتب مثل الرضى والسنى بالياء ومنهم من يكتبهما بالالف فايهما اصح عبده داود

الجواب — المختار في مثل هذين اللفظين ان ما كان اصلهُ بالواو كالعصا يكتب بالالف وما كان اصلهُ بالياء كالفتى يكتب بالياء الا فيما كان اولهُ مضموماً كالضُحى او مكسوراً كالرِضى فيُكتَب بالياء اطّراداً · وذلك لان المقصور اذا كان اولهُ مضموماً او مكسوراً يثنَّى بالياء مطلقاً فيقال في تثنية الضُحى ضُحَيان وفي تثنية الرِضى رِضَيان وان كان اصلها بالواو · ويقاس على المفرد المجموع نحو ذُرَى جمع ذِروة بالوجهين فيكتب بالياء وان لم يكن معرضاً للتثنية ليكون الباب كلهُ على وتيرةٍ واحدة

آثار ادبيّة

تاريخ آداب اللغة العربية — صدر في هذه الايام الجزء الثاني من هذا الكتاب تأليف حضرة الفاضل محمد بك دياب المفتش الثاني للغة العربية بنظارة المعارف وهو يشتمل على اربعة ابواب اولها وهو الخامس من ابواب الكتاب في تاريخ النحو والصرف والاشتقاق والثاني في تاريخ علوم البلاغة والثالث في تاريخ المحاضرات والرابع في تاريخ الانشآء · وقد

ضمَّن كل واحدٍ من هذه الابواب ذكر اشهر المؤلفين فيهِ مع اسماء اشهر مؤلفاتهم وختمهُ بطائفة كبيرة من الخطب والرسائل وغيرها من انشاء المتقدمين والمتأخرين فجاء كتاباً جليلاً غزير الفوائد حرياً بان يطالعهُ كل من يروم الوقوف على تاريخ آداب هذه اللغة وتدرُّجها الى هذا اليوم . والكتاب يشتمل على نحو ٢٥٠ صفحة وهو مطبوع على أجمل شكل وابدع مثال فنثني على مؤلفهِ ثناءً طيباً ونحث الادباء على اقتنائهِ

المجلة الصحية — هي مجلة شهرية دل عنوانها على موضوعها ينشئها حضرة النطاسيّ الفاضل الدكتور اديب الزيات ويديرها حضرة الصيدليّ القانوني نجيب افندي غناجة . وقد صدر الجزء الاوّل منها في اوّل هذا الشهر وهو يتضمَّن عدَّة مقالات ونبذ صحيـة وعلاجيـة وفوائد في الطب المنزلي ووصفات مختلفة لمعالجـة احوال شتى . فنثني على حضرة منشئها ومديرها الفاضلين ونحض المطالعين على اغتنام فوائدها وقيمة اشتراكها السنوي عشرون قرشاً مصرياً

مئة مسئلة ومسئلة — هي مسائل حسابية يضعها حضرة الاديب رشدي افندي كمال في رسائل متتابعة لتلامذة الشهادة الابتدائية وهذه هي الرسالة الثالثة منها وقد ذيلها باشهر المقاييس الحديثة وغيرها وجداول السطوح ومساحتها . فنثني على المؤلف لما يطرف بهِ الطلبة من هذه الفوائد ونرجو لمؤلفاتهِ مزيد الرواج

فكاهات (١)

نقطة حبر

حدَّث فرنسويٌّ عن نفسهِ قال . عند ما كان عمري اربعاً وعشرين سنة تعشقت ممثلةً باريسية من الطبقة الثالثة تدعى لورنس بريفال واشتدّ تعلقي بها وهيامي في حبها حتى صار لا يطيب لي عيشٌ الا بقربها . وفي ذات يوم جرى بيننا عتابٌ أفضى الى الجفآء فنفرت عني نفار الغزال الشارد وقد آلت على نفسها ان لا تلقاني بعد ذلك ابداً وخلفتني صريعاً دامي القلب ذاهل العقل والخاطر . فاستعنت بالصبر على صدودها ثم خرجت من باريس الى بلدةٍ بضواحيها كانت جدتي مقيمةً فيها فنزلت عندها رجآء ان استعين بالبعد على سلوّ الحبيبة او اضرم نار شوقها اذا راجعت نفسها فيَّ وعاودها ما كان عندها من الشغف بي فلا تلبث ان تبعث اليَّ برسالةٍ تجدد فيها عهد المودّة وتقول « عد فقد عدنا » . واتفق ان خالاتي وبناتهنَّ كنَّ اذ ذاك في بيت جدتي فاحتفينَ بي ايما احتفاء وغمرنني بلطفٍ يُنسي الحبيب حبيبهُ . وكان بين بنات خالاتي واحدةٌ تدعى ايفون يطلع نور النهار من جبينها وتغيب شمس الحسن في وجناتها فلو لم اكن عاشقاً لعشقتها ووهبتها روحي وكلي . فقضيت الايام الأُوَل وانا منشرح الصدر بنسيم الخلاء متمتعٌ بلذة الفراغ من مهمات الاشغال ووردتني رسائلي وجرائدي من باريس فلم

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم خليل افندي الجاويش

اجد بينها الرسالة المنتظرة ثم عبرت ايام ودرجت ليالٍ ولسان حالي ينشد الحبيبة قول الشاعر

خبروها بانهُ ما تصدَّى لسلوّ عنها ولو مات صدًّا

ولما رأيت انها باقية على جفآئها نفد صبري ووهن جلدي واحرقت نار الصبابة كبدي فعزمت على طلب الصفح من حبيبتي واسترضآئها عني ولذَّ لي « خضوعي لديها في الهوى وتذللي » وان تكن هي الجانية المسيئة وانا المجنيُّ عليهِ والمُسآء اليهِ . فدخلت غرفتي وسطرت رسالة طويلة املاها عليَّ جنون الحبّ فملأتها اسفاً واعتذاراً وتوسلاً والتماساً ووعوداً واقساماً وتذللت ما شاء الهوى وشآء الجنون حتى كأنني اكتب وانا محمومٌ يهذي او مدنفٌ اضاع السقم رشدهُ فلا يعقل ولا يهتدي . ولما فرغت من الرسالة وهممت بالتوقيع ارتجفت اناملي فارتجّ رأس القلم ووقعت منهُ على طرف التوقيع نقطة حبر شوَّهت وجه الكتاب . فقتق لي عقلي — ان كان قد بقي لي عقل اذ ذاك — ان انسخ الرسالة على رقعةٍ اخرى لئلا تكون هذه البقعة سبباً في زيادة غضب العشيقة وتسويد صحيفتي لديها . ثم قلت في نفسي انني اذا أعدت كتابة الرسالة فربما خطر لي ان اغير فيها وابدّل بعد ان افرغت فيها جراب عواطفي الصحيحة دون تكلف ولا تصنُّع فتضيع بهجتها ويذهب شيءٌ كثير من رونقها فصممت على ازالت البقعة . ولما لم اجد على المائدة التي امامي شيئاً من ادوات المحو دعوت ابنة خالتي ايفون فجآءت فطلبت منها قطعة من الصمغ الهندي او مديةً صغيرة فهرولت الى غرفتها وعادت اليَّ بحفنةٍ من المماحي والورق النشاف ثم ألقت نظرها على

بقعة الحبر وقالت بكلامٍ يسيل رقةً هل تأذن لي في ان اتولى ازالتها عنك .
فقلت ذاك اليكِ . فانحنت على المائدة وشرعت في العمل وكانت الشمس
تلقي من النافذة اشعتها الذهبية فتزيد وجهها جمالاً وشعرها بهآءً . وبينما
كنت اتأمل في غدائرها الشقرآء اخذت اسائل نفسي واقول اين من
هذه الغدائر الذهبية شعر لورنس الذي تصبغهُ كل يوم بلون ومالي لا
اميل الى هذه الفتاة التي محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشر والتي

كانها أُفرغت من مآء لؤلؤةٍ في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وما زلت مستغرقاً في تأمل محاسنها وبدائع صورتها وخفة حركاتها ورشاقة
قامتها حتى ذهب عن ذهني ذكر عشيقتي ونسيت رسالتها وشعرت
أن شيئاً كالسحر قد سطا على لبي أو كالخمر قد دبّ في اعضآئي وتمشى في
مفاصلي واصبحت كلما زدتها نظراً زادني وجهها حسناً . حتى اذا افقت من
هذه السكرة اللطيفة ولا اعلم كم دامت انحنيت على كتف الفتاة لارى ماذا
فعلت بالبقعة فرأيت محلها دمعةً كانها دُرّةٌ ذائبة قد سقطت من اجفانها
الذابلة فايقنت انها قرأت الرسالة وفهمت معناها فبكت فبكيت معها
وضممتها الى صدري ثم تناولت الرسالة فمزقتها

وبعد شهرٍ زُفَّت اليَّ ابنة خالتي وصار فؤادي معبداً مقدساً لحبها
الطاهر بعد ما كان مسكناً لتلك الخطيَّة التي كانت اعظم منها عليَّ نقطة
الحبر بعد ذلك الجفاء والهجر

المرأة والحية

زار طبيبٌ فرنسويّ منذ مدة احد اصدقآئهِ فرأى عندهُ جماعةً من الرجال والنسآء قد تكوّفوا حول امرأةٍ تتبين بخت الانسان من خطوط راحتهِ فجلس ساكتاً ينظر حتى اذا ذهبت المرأة التفتت اليهِ غادةٌ حسنآء من الحضور وقالت لهُ لِمَ لم تشاركنا ايها الدكتور في مدّ راحتك الى هذه العرّافة ام ان علمك الواسع منعك من الاشتغال بالخزعبلات والوساوس . فقال لا وانما حدث لي وانا في السادسة عشرة من عمري حادثٌ هائل كاد يذهب بحياتي وذلك على اثر نبوءةٍ تنبأت لي بها احدى اولئك النسوة اللواتي يحزرنَ الحظوظ من رؤية ما في الاكف من الخطوط . فانها تفرست في راحتي ثم قالت لي « ان المرأة والحية خدعتا آدم وذهبتا بسعادتهِ وغبطتهِ فاحذر المرأة وتوقَّ الحية فانهما ستتحدان على اهلاكك اذا لم يحمك الحديد منهما » ثم مضت في طريقها . وبعد ست سنوات تمت هذه النبوءة الغامضة وذلك انني تعرفت مع بعض اترابي بفتاةٍ من بوهيميا تدعى دورا أتت البلدة التي كنت اتعلم الطب فيها واتخذت محلاًّ تُري الناس فيهِ حياتٍ وافاعي متنوعة الاشكال تلعب وترقص على حركاتٍ منها غريبة . وكانت هذه الفتاة باهرة الحسن فتانة العينين تسحر الناس بالحاظها كما تسحر الحيات بحركاتها ولا سيما حينما ترتقي على الدكة لتمثيل العابها وهي لابسة ثوباً شفافاً مرقطاً بالذهب منقطاً بقطع صغيرة من انواع المعادن والزجاج حاسرة عن ساعدين كانهما من المرمر وعمرها لا يزيد عن عشرين سنة

وكنت اذهب مع رصفآئي كل ليلة الى ناديها فنلغط ونصخب ونجمع لها الناس من اطراف المدينة فمالت الينا واحبتني انا على الخصوص وقد شُغف قلبي بحبها حتى كنت لا افارق النادي الا بعد ان ينصرف الحضور كلهم. وفي ذات ليلةٍ خطر لاحد رصفآئي ان يحقن احدى الحيات الكبيرة بمادة الكافيين قصد تنبيهها وحملها على ان تثب وتتلوى كانها في الغاب ففعل وارجعها الى مكانها وبعد ان انقضت قليلاً من ألم الحقن عادت الى سباتها وجمودها. ثم ذهب رفاقي وبقيت انا وحدي مع الفتاة فانتهزت الفرصة واخذت اداعبها تحت جنح الظلام فما شعرنا في خلال ذلك الصفو واللهو الا والحية قد طوقتنا نحن الاثنين كانها حبل طويل ثخين قد لُفَّ علينا كلينا وشدَّهُ ساعدٌ مفتول فايقنت ان الكافيين هو الذي شدد اعصابها بل جعلها شبيهة بالسكرى لا تفرق بين صاحبتها وبين الغريب. فصحوت من سكر الهوى وادركت ما وقعنا فيهِ من الخطر اما الفتاة فلم تنطق ببنت شفة وفارقتها قوتها ومنعها الظلام من القآء نظرةٍ على الحية تزجرها بها فتعود الى مقرّها وهكذا ظلت الحية تعصرنا معاً حتى بتنا كاننا بين سندان ومطرقة او بين اسنان آلة ضاغطة وتيقنَّا اننا هالكان لا محالة وكنت اشعر بان اعضآء الفتاة تتقصف كالاغصان واعصابها تتفلت كالخيطان ثم تذكرت ان محفظة آلات الجراحة في جيبي ولكنني لم استطع ان اتناول منها مشراطاً لان ذراعيَّ عاجزتان عن اتيان حركةٍ ما حتى اذا اوشكت ان اغيب عن رشدي وكانت الحية قد تعبت من الشد والعصر تناولت مبضعاً وغرزتهُ في لحمها ثم أُغمي عليَّ من شدة الجهد فلم اعد اعي شيئاً.

ولما افقت رأيت الفتاة دورا جثةً هامدة الى جانبي والارض ملطخة بدم الحية وفي رأسي بضع شعرات بيضآء وهكذا تمت نبوءة العرّافة

اختيار غريب

كان في احدى قرى فرنسا فتاةٌ حسنآء تدعى مادلين ديرون لها شقيقةٌ اكبر منها تدعى جوليا قبيحة الصورة بقدر ما كانت اختها مادلين جميلة مليحة كأَن الطبيعة ارادت ان تمثل بهما منتهى الجمال والقبح وكانت جوليا فوق قبح صورتها حدبآء تمشي على عكاز . وكانت الاختان يتيمتين وقد وجدت جوليا بعد وفاة والدتها صكاً توصيهما فيهِ بان لاتفارق احداهما الاخرى وتوصي جوليا بان تعتني باختها مادلين وتسهر على تربيتها وتوصي مادلين بان تبقي جوليا عندها اذا تزوجت وبغير ذلك لا تستريح هي في ضريحها ولا تنزل السكينة على روحها . فعند ما كبرت مادلين اطلعتها جوليا على هذه الوصية فبللتها بدموعها واقسمت انها تتبع قول والدتها الى آخر دقيقة من عمرها . وكانت الفتاتان ساكنتين في بيتٍ حقير ولهما قطعة ارض تعيشان من ريعها

ولما بلغت مادلين السنة التاسعة عشرة من عمرها حام عليها الخطّاب كما يحوم النحل على الخلية فكانت تأبى ان يخطبها احدهم مع الحاح اختها عليها بالقبول . وكان في عداد هؤلآء شقيقان يدعى احدهما اوغست والآخر جورج هنريكس لقيا مادلين في حفلة رقص فعشقاها من اول نظرة وعلم كلٌّ منهما بعشق الآخر ولكن الحب الاخوي منع وقوع الغيرة والحسد

في قلب احد منهما فتركا الفتاة وشأنها تصطفي ايهما تحبهُ وتميل اليهِ . ثم اخبرا والدتهما بالامر ورغبا اليها ان تفاتح شقيقة المحبوبة بامر الخطبة فاستآءت وعارضت حذراً من ان يفضي ذلك الحب الى التباغض وينجم عنهُ في بيتها شقاق او جفآء فاشارت على ولديها بان يعدلا عن عزمهما ويرحلا عن البلدة الى ان تتزوج مادلين بغيرهما فيعودان اليها . فابيا الامتثال لاشارتها والحب اعمى كما يقال . اما مادلين فكانت قد مالت الى الزواج وعلمت بحب الاخوين اياها ورأت الاثنين يصلحان لها فحارت في اختيار احدهما زوجاً ولكنها جعلت اختيارها موقوفاً على من يودّ شقيقتها اكثر من الآخر ويرغب في ان يأخذها الى منزلهِ لتبقى مع زوجتهِ حتى كانهُ يتزوج الشقيقتين وان اختلف وجه الزواج . وما زالت بين تردد وحيرة يوماً تقول اتزوج اوغست لانهُ شجاع حازم ويوماً تقول افضل اخاهُ جورج لانهُ رقيق القلب لين الطباع . حتى اذا كان احد الايام قالت لاختها جوليا غداً نذهب الى بيت مدام هنريكس فاذا فاتحَتكِ في امر الخطبة فأعلميها بانني قد اصطفيت جورج . وكان بيت السيدة المذكورة في طرف القرية وتحتهُ بستان واسع ووراء البستان مروج وغياض وكانت جوليا ومادلين كلما ذهبتا لزيارتها تسيران في تلك الغياض وتدخلان البيت من باب البستان . فلما اقبلتا في اليوم التالي كانت الوالدة وولداها ينتظرونهما امام سور المنزل فبينما كانت الفتاتان آتيتين من الطريق المذكورة اذ خرج من تلك الغياض ثورٌ هائل واقبل يقصد الجهة السائرة فيها جوليا ومادلين فعند ما بصرتا بهِ انخلعت قلوبهما وانحلت ركبهما من فرط الهلع والرعب فامسكت مادلين

بذراع جوليا وحاولت ان تفرّ معها من وجه الثور فلم تستطع جوليا ان تسرع الخطى معها فصاحت بها انجي بنفسكِ يا حبيبتي ودعيني وحدي . فحاولت مادلين ان تحملها فخانتها قواها وكان الثور قد اوشك ان يصل اليهما والزبد على فمهِ والشرر يتطاير من عينيهِ فصرخت مادلين مستغيثة لخلاص شقيقتها وما كاد يُسمَع صوتها حتى رأت نفسها محمولةً بين يدي جورج كعصفورةٍ في يدي طفلٍ وكان اخوهُ اوغست قد انقضّ كالصقر على الثور الهاجم فاشتد هياجهُ واقتحم لينطح الفتى ولكن هذا كان اسرع من البرق فطعنهُ بمنجلهِ طعنةً ألقتهُ صريعاً ثم حمل جوليا وهي مغمىً عليها واسرع بها الى منزلهِ كاسدٍ داخل بفريستهِ الى عرينهِ

وبعد ان انقضت الحادثة واجتمع الكل في ردهة المنزل جرى الحديث في امر الخطبة فنهضت مادلين وماء البشر يترقرق في جبينها وسارت نحو اوغست ووضعت يدها الصغيرة المرتعشة في يدهِ التي كانت لم تزل ملطخةً بدم الثور ثم قالت لهُ شكراً لك عن جوليا ايها البطل الهمام . فلم يلبث بعد ذلك ان عُقد لهُ عليها ورحل اخوهُ جورج الى باريز بعد ان هنأ اخاهُ بنصيبهِ وهناك دخل في جيش الاحتلال الذاهب الى تونكين لانهُ ايقن بعد الذي جرى ان حب الوطن هو الحب الذي يجب ان يحلّ فؤادهُ . وعاش اوغست ومادلين على اتم السعادة والصفاء ولم يبرحا كذلك الى ان وافاهما هادم اللذات ومفرّق الجماعات